مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

قراءات

جمادى الأول ١٤٤٢هـ / يناير ٢٠٢١م

فرنسا والدولة السعودية الأولى

لويس بلين

فرنسا والدولة السعودية الأولى

لويس بلين

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

بلين ، لويس
فرنسا والدولة السعودية الأولى. / لويس بلين. - الرياض، ١٤٤٢هـ
٢٨ص؛ ١٦,٥x٢٣ سم.- (قراءات ١٤)

ردمك: ٢-٧٤-٨٢٦٨-٦٠٣-٩٧٨

١- السعودية - تاريخ - الدولة الاولى ٢- السعودية - العلاقات الخارجية - فرنسا أ- العنوان ب - السلسلة

ديوي ٩٥٣،١٠١ ١٤٤٢/٣٨١٥

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٣٨١٥
ردمك: ٢-٧٤-٨٢٦٨-٦٠٣-٩٧٨

تصميم وإخراج
محمد يوسف شريف

المحتويات

خلاصة	٦
مقدمة	٨
تحالف لم ير النور مع شريف مكة	٨
الدولة السعودية الأولى كحليف بديل	١١
ضباط المخابرات الفرنسية في الجزيرة العربية	١٦
نابليون، رائد في الشرق	١٨
ملحق ١: خريطة الدرعية	٢٢
ملحق ٢: رسالة من بونابرت إلى شريف مكة	٢٣

خلاصة

تزامن قيام الدولة السعودية الأولى وتوسُّعها الإقليمي مع حقبة شهدت فيها فرنسا ضعفاً ثم أزمة داخلية، ونتيجة لذلك لم تولِ فرنسا اهتماماً للتطورات السياسية في شبه الجزيرة العربية، إلا أن بونابرت (١٧٦٩-١٨٢١م) أعاد إحياء الطموح الفرنسي إلى وضع حد للهيمنة البريطانية على الهند عند دخوله مِصْرَ في سنة ١٧٩٨م؛ لكنه أخفق في تشكيل تحالف ضد البريطانيين مع شريف مكة الأكبر. وعلى أثر عودته إلى فرنسا، كشف اهتمامه بالتطورات التي كانت تحدث داخل الجزيرة العربية أنه كان يبحث طوال الوقت عن منفذ بري إلى الهند. وفي سنة ١٨٠٣م كلف قنصله في بغداد أوليفييه دي كورانسيز (Olivier de Corancez) بالتحدث مع الأمير سعود بن عبد العزيز في حال تمكن هذا الأخير من السيطرة على جدة وبالتالي ضم كامل الحجاز لسلطته؛ لكنَّ هزيمة زعيم الدولة السعودية الأولى الثالث أمام هذه المدينة أنهت محاولة التحالف. وبعد ذلك أرسل نابليون عددًا من العملاء السريين في مهمات إلى المنطقة ومنهم على وجه الخصوص علي بك العباسي. وهناك كتابات أخرى تشهد على اهتمام الفرنسيين بالدولة السعودية الأولى، ولا سيما كتابات فتح الله الصايغ وجوزيف روسو أول من رسم خريطة معروفة للدرعية عاصمة الدولة السعودية.

الشكل ١: «فارس وهابي»، رسم إيميل بريس دافين (١٨٠٧-١٨٧٩م). المصدر:
Émile Prisse d'Avennes (1807-1879), "*Un Cavalier Wahaby*," in "Moeurs et Coutumes des Wahabys," *Le Magasin Pittoresque*, 1847, 8.

مقدمة

أنشأت فرنسا جملة من المحطات التجارية في موانئ المحيط الهندي في القرنين السابع عشر والثامن عشر وخصوصًا على السواحل الهندية، لكن البريطانيين نجحوا رغم ذلك في أن يحلوا محل الفرنسيين فيها بالكامل تقريبًا خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، في ظل سياق اتسم بضعف النظام الملكي الفرنسي على جميع المستويات تحت حكم لويس الخامس عشر ومن بعده لويس السادس عشر، وهو ما أدى إلى اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م. وعوض أن تضع الثورة حدًّا للتنافس الفرنسي البريطاني فإنها أذكت جذوته وزادته حدة. لقد انصرف الثوار في البداية إلى حماية الأراضي الفرنسية من الملكيات الأوروبية، ولكنْ منذ سنة ١٧٩٨م أعلمت حكومة الإدارة[١] نابليون بونابرت الذي كان يتهيأ للذهاب إلى مصر بـ»ضمان استيلاء الجمهورية المطلق والحصري على سواحل البحر الأحمر»[٢]. وسرعان ما أعادت الجمهورية رفع راية التوسع الترابي، وقد استمرت على هذا النهج حتى بلغ أوجه حتى انهيارها سنة ١٨١٥م، أي قبل ثلاث سنوات من انهيار الدولة السعودية الأولى.

تحالف لم ير النور مع شريف مكة

لقد جدد بونابرت إذن العهد مع طموحات فرنسا التي كانت تتجاوز مصرَ وحدها، وإن كان اختيارها نتيجة نضج تدريجي في العلاقات بين فرنسا والإسلام وليس بهدف إنهاء الهيمنة البريطانية على الهند فقط. إن قيام الدولة السعودية الأولى خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر وتوسعها الترابي بداية من الثمانينيات من القرن نفسه تتزامنا إذن مع حقبة وهن تلتها أزمة داخلية في فرنسا، أدت إلى تقهقر وجودها في المحيط الهندي وإلى قلة اهتمام بالتطورات السياسية التي كانت تشهدها شبه الجزيرة العربية. وفي مثل هذا السياق لا نجد أي كتابات فرنسية تعلق على نشأة الدولة السعودية الأولى ثم انطلاقها وتطورها.

وفي كتابه «رحلة إلى مصر وسوريا» الذي يعتبر بمثابة كتاب مقدس يقتدي به بونابرت في الشرق لم يخصص فولناي (Volney) حيزا كبيرا للحديث عن البحر الأحمر، ناهيك

---

(١) حكومة الإدارة (أو المجلس الأعلى) هي اللجنة الحاكمة المكونة من خمسة أعضاء في الجمهورية الفرنسية الأولى من ٢ نوفمبر ١٧٩٥ إلى ٩ نوفمبر ١٧٩٩م.

(2) Henri Labrousse, *Récits de la Mer Rouge et de l'Océan Indien*, (Paris: Économica, 1993), 81.

عن الجزيرة العربية رغم أن مصر المماليك كانت تحافظ على تجارة نشطة مع سواحل الجزيرة العربية الغربية. ولا يذكر فولناي إلا في فصل مخصص لمشروع حفر برزخ السويس أن الميناء يرسل بضائع إلى «جدة ومكة والمخا. (...) وفي شهر مايو سنة ١٧٨٣ حمل أسطول جدة المتكون من ٢٨ سفينة منها أربعة مجهزة بستين مدفعا ما يقارب ثلاثين ألف رزمة من القهوة[٣]». وهذا يعني أن اعتبارات الكاتب تجارية صرفة؛ لأن الفرنسيين آنذاك كانوا يهتمون بالبحر الأحمر بصفته طريق عبور إلى قهوة اليمن. ونرى خلاف ذلك حجم التجديد الذي أتى به بونابرت في مصر الذي جعل تمثيل فرنسا في المنطقة يتجاوز الاعتبارات التجارية إلى مشروع جيو-سياسي شامل.

كان نابليون مفتونًا بالشرق، وقد بحث وقرأ كثيرا عنه قبل الشروع في رحلته التأسيسية التي كانت بمثابة تجسيد لمخاوف العثمانيين. لا يخفى على أحد تأثير كتابات فولناي إلا أن كتاب كارستن نيبوهر (Carsten Niebuhr) عن رحلته إلى شبه الجزيرة العربية كان له من التأثير في فرنسا ما جعل نابليون يستظهر به لإثبات الجوانب العلمية عندما عرض مشروعه الاستكشافي في مصر على معهد فرنسا عام ١٧٩٨م. كما أنه «وفي الربع الأخير من القرن الثامن عشر، كان الاتجاه المبطن الذي اتخذه عصر التنوير الفرنسي يتمثل في تحويل المعرفة إلى عمل سياسي[٤]». زار نيبوهر شبه الجزيرة العربية بين سنتي ١٧٦٢ و١٧٦٣م أي قبل بداية توسع الدولة السعودية الأولى، وظهرت الترجمة الفرنسية لكتابه عام ١٧٧٣م أي بعد عام من صدور نسخته الأصلية باللغة الألمانية. لكنّه لم يذهب إلا إلى الحجاز واليمن ولم يزر وسط الجزيرة العربية قط. انصب اهتمام بونابرت بشبه الجزيرة العربية في البداية، على حوض البحر الأحمر كامتداد لمصر. وذلك مفهوم باعتبار أن مصر لم تمثّل له غاية بقدر ما كانت وسيلة لخدمة رؤية إستراتيجية أكثر شمولا. وهكذا فقد كان على دراية وعلم تام، عندما وجه بعد شهر من دخوله القاهرة أول رسالة من سلسلة رسائله إلى شريف مكة غالب بن مساعد يوم ٢٥ أغسطس ١٧٩٨م، ليؤكد له «اعتزامه حماية المساجد وجميع المؤسسات التي تملكها مكة والمدينة

(٣) أي حوالي عشرة آلاف طن.

Constantin-François Volney, *Voyage en Égypte et en Syrie en 1783, 1784 et 1785,* (Paris: Volland et Dessenne, 1787), tome 1, 207-212.

(4) Henry Laurens in Henry Laurens, John Tolan, Gilles Veinstein, *L'Europe et l'Islam, quinze siècles d'Histoire*, (Paris: Odile Jacob, 2009), 280.

في مصر» وأن «قافلة الحجاج لن تتعرض لأية معوّقات»؛ لأن «]نا [أصدقاء للمسلمين ولِدِين الرسول». كان بونابرت يعتبر شريف مكة حليفا محتملا ضد البريطانيين، وكذلك ضد العثمانيين الذين كانت تربطهم بالشريف علاقات شائكة؛ ولذا فكان من الطبيعي تحريضه على التمرد على سلطانه كما قال بونابرت في عبارة لقيت صدى واسعا بعد ذلك: «لماذا تخضع الأمة العربية إلى الأتراك؟ (...) أريد أن أعيد شبه الجزيرة العربية للوجود[٥]». وبغض النظر عن مشاعره المحبة للعرب والتي تجعله يعتبر عيسى وموسى نبيين عربيين، فقد فهم بونابرت الوظيفة السياسية والروحانية التي يضطلع بها شريف مكة الأكبر لأنه «رأى في الإسلام مجموعة سياسية يمكن تعبئتها[٦]» وهكذا فقد كان يتحدّى الهيمنة العثمانية على البحر الأحمر الذي كان بمثابة بحيرة عثمانيةً بما أن الباب العالي كان يسيطر على ضفتيه شمالا وجنوبا. وتحالف البريطانيون -سادة الهند- آنذاك مع الإمبراطورية العثمانية لحماية مداخلها. وأعلن السلطان الحرب على فرنسا في سبتمبر ١٧٩٨م، في الوقت ذاته الذي كان الشريف غالب يتسلّم فيه رسالة بونابرت الأولى.

أجابه الشريفُ كـ«صديق له»؛ ولكنه لم يتصرف على هذا الأساس فقد أرسل فيلقًا لمحاربته في صعيد مصر[٧]، وانحاز بذلك إلى الجانب العثماني. ولكنه حاول في البداية البقاء على المسافة نفسها من الجميع في وقت كان يتعرض إلى ضغوط من البريطانيين، الذين كان أحد مواطنيهم يتمتع بعلاقات مهمة في جدة تمكنه من اعتراض رسائل نابليون إلى الشريف. وشأنه شأن معظم معاصريه في المنطقة كان الشريف يعتبر صاحب الرسائل غازيًا يحمل أفكارًا غامضة، وبخاصة فيما يتعلق بالإسلام وبزعمه تحرير شعوب الشرق من الحكم التركي، لكن مصلحته كما لا يخفى على أحد كانت تقتضي التعامل معه بحكمة؛ إذ كان هناك أمور يمكن التفاهم بشأنها. في الواقع تكشف مراسلات نابليون أنه يعي جيدًا أهمية الحجاز السياسية والدينية دون أن يغفل عن

(5) Henry Laurens, "Napoléon, l'Europe et le Monde Arabe", in *L'Orient dans tous ses états. Orientales IV,* (Paris: CNRS Éditions, 2017), 57.

(٦) المرجع نفسه، ص ٥٤.

(٧) في ٢٩ سبتمبر ١٨٠٠م، أصدر السلطان تعليماته إلى شريف مكة «بتقديم الوسائل والمساعدات اللازمة للأسطول الإنجليزي في البحر الأحمر لردع الغزاة الفرنسيين عن مهاجمة جدة وينبع بأسطولهم المتمركز في السويس». ويعزى ارتباط الشريف غالب بمصر ربما إلى أن والدته كانت نوبية.

أهمية تجارتها الخارجية، ويدرك عموما مقومات اقتصاد حوض البحر الأحمر. وقد كانت له عيون لا تخبره عن مصر فحسب، ولكن عن تجارتها الخارجية أيضًا. ويتحدث كتاب «وصف مصر» عن ذلك بالتفصيل، ويقول تحديدا: «تأتي سنويًّا إلى السويس خمسون سفينة أو ستون من جدة». وقد سعى بونابرت جاهدا إلى الاطلاع قدر الإمكان حول وضع جدة ومكة وإلى بناء علاقات ودية مع هاتين المدينتين وكسب ود سكانها. ومن أجل هذا كان نابليون يستقي المعلومات من الجهاز الدبلوماسي القديم الذي أسسه الفرنسيون في مصر والذي يزودهم بجميع المعلومات اللازمة عن وضع هذا البلد. لقد تابعت باريس –خصوصا- عن كثب وبتعاطف تمرُّد حاكم القاهرة علي بك الكبير (١٧٢٨ - ١٧٧٣م) على سلطانه العثماني في عام ١٧٦٨م؛ مما أتاح له وضع يده على الحجاز لمدة أربع سنوات فقط. كان غالب بن مساعد شريف مكة منذ عام ١٧٨٨، محتميًا بحضن العثمانيين، وكان الجميع يعلم -بمن فيهم الفرنسيون- مدى هشاشة تلك الحماية. لطالما كانت المصادر الفرنسية تؤكد ضعف العثمانيين في الحجاز، وقد صرّح شارل بونسيه وهو أول رحالة فرنسي على الإطلاق ينقل في كتاب أحداث إقامته في شبه الجزيرة العربية خلال ديسمبر ١٧٠٠م بذلك بوضوح قائلًا: «وبعد وصولي إلى جدة بيومين جاء ملك مكة رفقة جيش مؤلف من عشرين ألف رجل فأقام خيامه وحط رحاله في باب المدينة المؤدي إلى مكة. (...) وأجبر الباشا الموجود في جدة ممثلا للسيد الأعظم بأن يعطيه خمسة عشر ألف عملة ذهبية وهدده بالطرد إذا لم يذعن على الفور»[٨]. لقد كان بونابرت إذن يستهدف حاكما معينا ولكنه لم يكن على علم بالقوى النشطة في الدولة السعودية وبصراعاتها المستمرة مع الشريف منذ سنتي ١٧٩٠-١٧٩١م والتي صمتتْ عنها المصادر الفرنسية في ذلك الحين.

الدولة السعودية الأولى كحليف بديل

اعتبر بونابرت شريف مكة الأكبر مجرد حليف في خدمة مشروعه الذي كانت مصر محورا له آنذاك ولكن سرعان ما توسع فيه. وعلى أثر عودته إلى فرنسا، كشف اهتمامه بالتطورات التي كانت تحدث داخل الجزيرة العربية أنه كان يبحث طوال الوقت عن

(8) Louis Blin, *La Découverte de l'Arabie par les Français. Anthologie de textes sur Djeddah (1697-1939)*, (Paris: Geuthner, 2019), 51.

والمقصود بـ«ملك» مكة هنا الشريف الأكبر وبـ «السيد الأعظم» السلطان العثماني.

منفذ بري إلى الهند. في الواقع، «لقد جعل الانتصار البريطاني في البنغال عام ١٧٥٧ من الطريق المؤدية إلى الهند محورا جيوسياسيا جديدا سيطر على تاريخ العالم القديم على مدى القرنين التاليين. (...) منذ سبعينيات القرن الثامن عشر، بدأ المرور عبر السويس يشغل بال الفرنسيين والبريطانيين[٩]». لقد كانت تطلعاته تتجاوز الحجاز التي كان غالب بن مساعد يحاول صدّ هجمة الدولة السعودية الأولى عليها. ولكي يتفادى تقدمها إلى البحر الأحمر لجأ الشريف إلى جدة حين الهجوم السعودي قبل أن يستعيد عاصمته في يوليو ١٨٠٣م بفضل الدعم العثماني. ولكنْ كان عليه أن يعترف بسيادة نجد منذ شهر أكتوبر ١٨٠٥م وأن يتبنى الإصلاح الوهابي، على الأقل في الظاهر. ووافق على ألا يدعى لسلطان إسطنبول في الصلوات في المساجد، وهو ما يعني بداية التمرد عليه. وبعد محاولة أخرى للتحصّن في جدة، انتهى به الأمر بالاستسلام من دون قتال في عام ١٨٠٦م دون أن يفقد سيطرته عليها على أرض الواقع. يروي الدبلوماسي والمستشرق جان-بابتيست-لويس-جاك المعروف باسم جوزيف روسو (١٧٨٠ - ١٨٣١م) أحداث عام ١٨٠٣م في كتابه الذي يحمل عنوان «مذكرة عن الطوائف الإسلامية الثلاث الأكثر شهرة، الوهابية، والنصيرية والإسماعيلية»[١٠] الذي صدر سنة ١٨١٠م: «خرج الأمير سعود[١١] من مكة ليتقدم نحو جدة، ولكن الوهابيين الذين لطالما كانت لهم الغلبة لم يحالفهم الحظ هذه المرة. إلى حد ذلك الوقت لم يكونوا قد هاجموا سوى القبائل الرحل والمتفرقة أو باغتوا أماكن مفتوحة لا تملك دفاعا. ووجدوا جدة حصينة وسكانها تحت تأثير غالب وشريف باشا[١٢] اللذين قررا التصدي لهم حتى آخر رمق: وهكذا فشلوا في مختلف الاعتداءات التي قاموا بها. كان سكان جدة المحاصرون يصدون الوهابيين باستمرار ملحقين بهم الخسائر فسارع هؤلاء إلى التراجع وقد سبّب الطاعون أيضا أضرارا جسيمة بينهم فاضطروا إلى الانسحاب». ويؤيد جان ريمون إشارات روسو حول فشل الحصار في «مذكرة حول أصول الوهابيين، وولادة قوتهم والتأثير الذي يتمتعون به كأمة» التي ألفها بتاريخ ١٠ يوليو ١٨٠٦م ولكنها لم تنشر إلا في سنة ١٩٢٥م: «رأى سعوت [سعود] الذي كان منتصرا إلى حد ذلك الوقت أمجاده السابقة

(9) Laurens, *L'Europe et l'Islam*, 281.

(10) Joseph Rousseau, *Mémoire sur les trois plus fameuses sectes du musulmanisme, les Wahabis, les Nosaïris et les Ismaélis,* (Paris, with A. Nepveu, 1818), 76.

(١١) سعود بن عبد العزيز (١٧٤٨-١٨١٤م)، حفيد مؤسس الدولة السعودية الأولى.

(١٢) كان شريف باشا يقود الوفد الذي أرسله الباب العالي لمساعدة الشريف غالب في مواجهة الوهابيين.

تتهاوى أمام جدة. لقد أثبطت عزيمته مقاومة المحاصَرين القوية وفقدان أتباعه في كل هجمة والأضرار التي سببها الوباء[١٣]».

يروي لويس ألكسندر أوليفييه دي كورانسيز (١٧٧٠ - ١٨٣٢م) في كتابه «تاريخ الوهابيين، من نشأتهم إلى أواخر عام ١٨٠٩[١٤]» إخفاق الدولة السعودية الأولى في الاستيلاء على جدة عام ١٨٠٣م، ثم نجاحها في ذلك عام ١٨٠٦م. كان دي كورانسيز قد شارك في حملة بونابرت على مصر قبل أن يصبح دبلوماسيًّا، وعمل في حلب وبغداد من عام ١٨٠٢ إلى عام ١٨١٠م. ظهر كتاب دي كورانسيز في عام ١٨١٠م، أي قبل كتاب روسو -الذي تناول موضوعا قريبا- بثماني سنوات وقد أخذ منه دي كورانسيز بعض العبارات وهو ما يدل على أن الكاتب قد اطلع على الكتاب قبل نشره. وقال في مقدمته إنه استخدم كتابا آخر من مؤلفات روسو نشر في سنة ١٨٠٩م وهو «وصف باشاوية بغداد يتبعه مذكرة عن الوهابيين»[١٥]. ويسلط كورانسيز الأضواء على هزيمة المحاربين السعوديين الذين لم يكن ينقصهم العدد ولا الحماس ولكن طريقتهم في القتال كانت قديمة مقابل قوات عثمانية ضعيفة في جدة شأنها شأن الإمبراطورية العثمانية كلها آنذاك ولكنها تتمتع بأسلحة عصرية: «إلى حد هذه اللحظة كان الوهابيون منتصرين دوما. وهم في الواقع لم يجدوا سوى مدن مفتوحة وقد منحهم تفوقهم العددي تقدما واضحا في خضم الحملة جعل أعداءهم لا يحاولون مقاومتهم تقريبا. ولكن الأمر لم يكن كذلك في جدة فهذه المدينة محاطة بأسوار أصلحها غالب وشريف باشا[١٦]. ولم يترك لهما طبع الوهابيين الصارم من خيار سوى المقاومة العنيفة. وهكذا توقف الوهابيون أمام هذه المدينة. كانوا لا يملكون من السلاح سوى رماح بسيطة وبنادق فتيل لا يعرفون استخدامها كما كانوا يفتقرون إلى الانضباط ومعارف فن الحصار ومع ذلك كانوا يهاجمون دون حذر خصوما يتحصنون خلف أسوار مدينتهم ويستطيعون من خلال فتحات تلك الأسوار اختيار ضحاياهم دون أن يواجهوا خطرا. وهكذا كانت كل

(13) Jean Raymond, *Mémoire sur l'Origine des Wahabys, sur la Naissance de leur Puissance et sur l'Influence dont ils Jouissent en tant que Nation,* (Le Caire: Société Royale de Géographie d'Égypte, 1926), 40 p.

(14) Louis de Corancez, *Histoire des Wahabis, Depuis leur Origine jusqu'à la Fin de 1809*, (Paris, Crapard, 1810), 290.

(15) Louis de Corancez, *Description du Pachalik de Bagdad suivie d'une notice sur les Wahabis*, (Paris: Treuttel et Würtz, 1809), 261.

(١٦) كان الحاكم العثماني شريف باشا هو من عزز سور جدة وليس الشريف غالب بن مساعد.

هجمة من هجماتهم تهدي انتصارا سهلا للمحاصَرين. ولم تكن مرارة الهزيمة السبب الوحيد الذي سبب هذا الإحباط الذي أصاب الوهابيين فقد انضاف إلى هذا الشعور بلاء أشد قسوة إذ انتشر الطاعون بين الجنود وقضى عدد مهول منهم ولم يبق أمام سعود سوى فك الحصار والانسحاب إلى الدرعية[١٧]».

وقد كلف بونابرت كورانسيز الذي كان يعرفه جيدًا في سنة ١٨٠٣م بمهمة دبلوماسية لدى سعود بن عبد العزيز كان يمكن أن تغير مسار تاريخ الجزيرة العربيّة لو لم تفشل في اللحظة الأخيرة. وقد ظلت الحادثة سريّة حتى كشف عنها ألكسندر حاجيفاسيليو المعروف باسم أوريان (Auriant، ١٨٩٥-١٩٩٠م)[١٨] في عام ١٩٢٦م، ثم طواها النسيان من جديد. تتجاهل الكتب الوفيرة التي خصصت لنابليون هذه الحادثة -وهي حادثة قليلة الأهمية بلا شك- من ملحمة الإمبراطور، رغم أنها تبين انتقائيته الدبلوماسية واستمرار اهتمامه بالشرق بعد مدة طويلة من حملته على مصر. في الوقت الذي أصبحت فيه وضعية الشريف غالب بن مساعد في جدة تبدو ميؤوسًا منها وكان جيش سعود يحاصره، أبدى نابليون استعداده لتغيير مواقفه بغية الحصول على الدعم في البحر الأحمر والجزيرة العربية. ربما كان يفضّل الإطاحة بالشريف الذي كان قد رفض عرض التحالف الذي قدمه له وخيّر قتاله كما رأينا. وأبلغ كورانسيز، الذي كان موجودًا على رأس عمله في حلب آنذاك وزيرَه شارل-موريس دي تاليران بالوضع في الحجاز والذي نقل بدوره المعلومات إلى بونابرت؛ لأنه كان يدرك تمامًا اهتمام بونابرت بشؤون الشرق.

كان القنصل الأول (أي بونابرت) في باريس في ذلك الوقت يعمل على مشروعه الإمبراطوري وطلب من تاليران في رسالة مؤرخة في ٢٨ سبتمبر ١٨٠٣م «إرسال بريد إلى القسطنطينية مع رسالة مشفرة إلى عميلنا في حلب ليعلمه أنه لو تأكد احتلال مكة وجدة فعليه أن يكتب إلى زعيم الوهابيين. فكتب إليه في البداية ليقول له ببساطة أن الحاكم بونابرت يريد أن يعرف إن كان الفرنسيون الذين يمكنهم التنقل في البحر الأحمر أو في البلدان التي سيحتلها سيحظون بحمايته، وفي صورة ذهابهم إلى سوريا ومصر إن كانوا سيضمنون عدم تعرضهم إلى السلب وأن يعاملوا

(١٧) الدرعية عاصمة سعود.

(18) Auriant (Alexandre Hadjivassiliou), "Bonaparte et les Ouahabis," *Mercure de France*, 15 Janvier 1926, 509-513.

معاملة الأصدقاء[١٩]». ورغم أنه لم يكن يرجح احتمال أن يتزعم الوهابيون النهضة السياسية العربية التي كان يتمناها، ناهيك عن أن يخطط في أي وقت لحملة عسكرية بحرية كانت أو برية في الجزيرة العربية، فقد أخذه حلمه الأسطوري بالشرق إلى حد أن يتصور تأسيس إمبراطورية فيه. ولكن «مخطط الاحتلال» الذي كان قد اختمر في ذهنه حسب أوريان لم يتحقق بقدر ما لم يتحقق استيلاء الوهابيين على جدة.

وكان رد كورانسيز إلى وزيره في ٩ يناير ١٨٠٤م التالي: «بعد أن أطرد من جدة والمدينة فقَدَ سعوت الذي قضى الطاعون على عدد كبير من جنوده الشعور بالأمان الذي كان يستمده من انتصاراته الأولى ومنحت هزائمه خصومه الشجاعة التي فقدوها. (...) وأما الرسالة التي أذنتم بكتابتها للوهابيين فلن أرسلها لهم حسب أوامركم أيها المواطن الوزير إلا عندما يتأكد احتلال مكة وجدة وسأؤجل إلى وقت لاحق تنفيذ هذا الأمر وسأنتظر أوامر جديدة من لدنكم في هذا الخصوص». (كتب كورانسيز «سعوت» عوضا عن «سعود» ووصفه بأنه شريف الوهابيين). وتوقفت خطط التحالف الفرنسي الوهابي عند هذه المرحلة، ولكن سنرى في هذه المراسلة أن العملية كانت هشة. كان بونابرت انتهازيًّا بلا شك، وقد كان يراقب بعين الرضا التوسع الوهابي الذي لم يكن معروفا في فرنسا وقد اعتبره تمرّدا ضد العثمانيين يجسد مفاهيمه المتعلقة بانتفاضة شعوب الشرق ضد الاستبداد، ولكنه رغم ذلك كان قد دعم في سنة ١٨٠٢م سلطان مسقط سلطان بن أحمد البوسعيدي الذي كان الوهابيون يهددونه، وقد مهّد ذلك لتحالف فرنسي-عماني أفضى إلى معاهدة في يونيو ١٨٠٧م. لقد كان الإمبراطور نابليون يضع نصب عينيه ضرورة الحصول على حماية من مسقط لأسطوله في صورة قيامه ببعثة إلى الهند. ولكن اعتداءات الدولة السعودية الأولى على العثمانيين لم تكن بهدف إغضاب كبير القناصل الذي كان قد أبرم في يونيو من سنة ١٨٠٢م معاهدة لوضع حد للعداوات التي كانت قد ظهرت أثناء الحملة المصرية. وفي واقع الأمر لم يقترب الإمبراطور من الإمبراطورية العثمانية إلا في يونيو سنة ١٨٠٦م من أجل احتواء الضغط الروسي ثم عاد لينقض تحالفه معها منذ يوليو ١٨٠٧م[٢٠].

(19) *Correspondance de Napoléon Ier*, Paris, Imprimerie impériale, 1862, vol. 9, 5.

(٢٠) نجد تعاطفًا مع الوهابيين بسبب العداء الذي كان يكنه العداء للإمبراطورية العثمانية وللبريطانيين كما يظهر في كتابات عدد من المؤلفين الفرنسيين ومنهم بالأخص ألكسندر دوما الذي كان يوصي بشدة بالتحالف الفرنسي الوهابي في الخمسينيات من القرن التاسع عشر. انظر: «البحر الأحمر، مذكرات رحالتَين»:
"La Mer Rouge, journal de deux Voyageurs", *L'Ordre*, January 29-February 16, 1850.

وكانت خطة نابليون تتضمن توظيف الإسلام -وهو أول من استغل هذا الدين سياسيا- ولكن مثل ذلك التقارب كان يبدو غير ممكن في ضوء الكتابات الأوروبية التي كان قد اطلع عليها عن الوهابية والتي كانت تصورها كنوع من العقيدة المسلحة التي تميز ثقافة الصحراء وليس كإصلاح سياسي وديني شامل، وهو ما آلت إليه فيما بعد. ومن ناحية أخرى، لا يمكن للمرء أن يحكم مسبقًا على رد فعل سعود على رسالة بونابرت فهو لم يَتلقَّها قطّ، ولكنه كان يضمر نفس العداء للعثمانيين، ولذلك كان يمكن أن يستجيب إلى عرضه. ولكن الأرجح على ما يبدو أنه يشاطر معظم معاصريه من العرب آراءهم، ويعتبر أن أي تدخل أوروبي في الشؤون العربية إنما هو اعتداء مسيحي على المسلمين، ولعل الدمار الذي سببه بونابرت في مصر خير دليل على خطورة ذلك التدخل، ولكن المصادر المتوفرة بين أيدينا لا تسمح لنا بالفصل في الأمر.

ضباط المخابرات الفرنسية في الجزيرة العربية

إلى جانب تلك المخاطر الغامضة تدل الكتابات التي جمعناها على اهتمام نابليون غير المسبوق والثابت بالدولة السعودية الأولى التي نشأت في منطقة ظلت حتى ذلك الحين مجهولةً لدى الفرنسيين. ولكن لم يكن تعطش الإمبراطور إلى معرفة هؤلاء الحلفاء المحتملين في مواجهة البريطانيين يقتصر على المجال السياسي، والدليل على ذلك أن أول كتاب باللغة الفرنسية عن الوهابيين ألّفه الكاتالوني علي بك العباسي الذي أرسله نابليون في مهمة إلى شبه الجزيرة العربية عام ١٨٠٦م. وصل هذا المسافِر إلى جدة في يناير ١٨٠٧م، في الوقت الذي كان فيه الوهابيون يحاصرون المدينة، وشهد إجلاء القوات العثمانية منها. لم يتجاوز العباسي حدود مكة، ونشَرَ كتابه عام ١٨١٤[٢١] أي بعد رواية كورانسيز وقبل رواية روسو. وعلاوة على الوظيفة السياسية المذكورة آنفًا، كان لروسو -مثل أي دبلوماسي- مهمة خاصة تتمثل في جمع المعلومات. وقد تمكن من جمع معلومات وافية من التجار الذين كانوا يتنقلون آنذاك بين محلّ إقامته في بغداد والدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، ثم رسم لها سنة ١٨٠٨م الخريطة الوحيدة المعروفة والتي يحتفظ بها الأرشيف الدبلوماسي الفرنسي حتى الآن (انظر أدناه).

(21) Ali Bey el Abbassi (Domingo Badia y Leyblich), *Voyages d'Ali-Bey el Abbassi en Afrique et en Asie: pendant les années 1803, 1804, 1805, 1806 et 1807,* (Paris, de l'imprimerie de P. Didot l'aîné), 1814, 4 tomes.

بعد أن أصبح نابليون بونابرت إمبراطورًا في ديسمبر ١٨٠٤م لم يتوقف عند هذا الحد بل «كان يتخيل حملة جديدة إلى الشرق يقودها جيش فرنسي يزحف إلى الهند بالاتفاق مع العثمانيين والفرس[٢٢]»، ولكن معاهدة تيلسيت (المبرمة في يوليو ١٨٠٧م) ومن بعدها الحرب الكارثية التي خاضها في إسبانيا في عام ١٨٠٨م والطابع الطوباوي لفكرة إنشاء تحالف فارسي عثماني وضعت جميعها حدًّا لهذا المشروع إذا لم نقل لمصالحه في المنطقة.

تابع الإمبراطور باهتمام تعزيز سلطة محمد علي في القاهرة من سنة ١٨٠٥ إلى ١٨١١م، ثم تدخُّله في شبه الجزيرة العربية في أغسطس ١٨١١م، ثم أرسل فانسان-إيف بوتان (Vincent-Yves Boutin، ١٧٧٢-١٨١٥) إلى مصر وسوريا عام ١٨١٢م في مهمة استخباراتية، تقدم بوتان أثناءها إلى الحجاز مع حملة الجيش المصري. نزل بوتان في ينبع في فبراير ١٨١٢م، والتقى هناك قائدها طوسون باشا، ولكنه لم يتقدم حتى جدة وعاد إلى مصر بسبب الشكوك التي حفت بهذه الحملة. ولكن من أشاع بين الفرنسيين قصة أخرى تتعلق باهتمام الإمبراطور بالتطورات العربية كان الكاتب الكبير ورجل الدولة ألفونس دي لامارتين (Alphonse de Lamartine)، في ملحق كتابه «رحلة إلى الشرق» الذي نُشر سنة ١٨٣٥م. وتتمثل القصة في مغامرة تيودور لاسكاريس دي فينتيمي (Théodore Lascaris de Vintimille، ١٧٧٤-١٨١٧م) ومترجمه الحلبي المسيحي فتح الله الصايغ[٢٣]. وتقول رواية الصايغ التي نشر لامارتين ترجمتها الفرنسية إن الرجلين كانا سيقومان بمهمة استخباراتية لصالح الإمبراطور في وسط الجزيرة العربية وصولًا إلى الدرعية. تزامنت رحلتهما التي امتدت من سنة ١٨١١ إلى ١٨١٢ أو ربما ١٨١٤م مع بلوغ الدولة السعودية الأولى ذروتها وبدايات التدخل المصري الذي كان لا يزال محصورًا في ساحل البحر الأحمر في ذلك الوقت، والذي أدّى في نهاية المطاف إلى زوالها. وإذا كان عدم وجود توجيهات مكتوبة من نابليون ألقى بظلال من الشك على حقيقة

(22) Laurens, *L'Europe et l'Islam*, 290.

(23) See François Pouillon, "Monsieur de Lamartine au désert : réécriture d'un récit de voyage", in A. Bensa & F. Pouillon (dir.), *Terrains d'écrivains. Littérature et Ethnographie*, (Toulouse, Anacharsis, 2012), 157-186.

ترجمة لامارتين اختصرت إلى النصف النص الأصلي الذي تحتفظ به المكتبة الوطنية الفرنسية، وقد ترجمه إلى الفرنسية جوزيف شلحوت، انظر:

Joseph Chelhod *Le Désert et la Gloire : les Mémoires d'un Agent Syrien de Napoléon*, (Paris: Gallimard, 1991), 304.

ثم نشر بالعربي.

وجود مهمة رسمية ومن ثَمّ يبطل الفرضية المستوحاة من ملخص لامارتين لرواية الصايغ عن إرسال عميل مسؤول عن دراسة الدعم الفرنسي المحتمل لثورة وهابية على العثمانيين فإن الرحلة وهي حقيقية تندرج بلا شك في سياق الطموحات الشرقية النابليونية وتقدم برهانًا جديدًا على اهتمام الفرنسيين بوسط الجزيرة العربية في ذلك الوقت، وقد أُجهضت هذه الطموحات بهزيمة نابليون في يونيو ١٨١٥. قد يكون قنصل فرنسا بالإسكندرية المثير للجدل برناردينو دروفيتي (Bernardino Drovetti) هو من أوكل مهمته إلى الفارس دي لاسكاريس الذي كان قد انضم إلى حملة مصر ثم بقي في هذا البلد حتى وفاته. وتتميز رواية الصايغ بثراء جعلها مصدر المعلومات الرئيس عن أوضاع وسط الجزيرة العربية في ذلك الوقت.

أرسل نابليون العديد من المخبرين إلى الجزيرة العربية[٢٤]، وحاول عقد تحالفات مع أهم زعيمين محليين وهما شريف مكة ثم زعيم الدولة السعودية الأولى. كان اهتمامه الواضح بالجزيرة العربية، الذي لم يلفت انتباه المؤرخين، نابعًا من اعتباره إياها حليفًا محتملًا وليست هدفًا في حد ذاتها، لكن ما يثير الاهتمام هنا، أنه الوحيد من بين جميع القادة في تاريخ فرنسا الذي أبدى مثل هذا الاهتمام. والاستثناء الوحيد هو أريستيد بريان (Aristide Briand) رئيس مجلس الوزراء الذي أَوْلى اهتمامًا واضحا بالحجاز في عام ١٩١٦م عندما قرر دعم ثورة شريف مكة عبر إرسال بعثة عسكرية إلى الحجاز في إطار الحرب العالمية الأولى.

نابليون، رائد في الشرق

عاد فشل الموجة الإمبريالية الفرنسية الأولى في الشرق الأدنى عام ١٧٩٩م ثم ضعف فرنسا بعد عام ١٨١٥م بالنفع على خليفتها في مصر. فبعد مرور عشر سنوات على انتهاء مغامرة نابليون بونابرت في الشرق -التي شهدت أيضًا توقيع المعاهدة الفرنسية التركية في أكتوبر ١٨٠١م- جنَّد شبيهه محمد علي فرنسيين لتنفيذ مغامرته الخاصة التي بدأها في الحجاز في عام ١٨١١م قبل أن يتغلب ابنه إبراهيم باشا على الدولة

(٢٤) أرسل نابليون عميلا آخر إلى الشرق وهو أوغيست دي نيرسيا (Auguste de Nerciat) مؤلف مذكرة قصيرة عن العرب وعن المذهب الوهابي:
Courte Notice sur les Arabes et sur la Secte des Wahabis, (Paris: Impr. de Mme Herisssant Ledoux), 1818, 30.
رغم أنه لم يزر وسط الجزيرة العربية أبدا.

السعودية الأولى في أبريل ١٨١٨م بمساعدة الضابط الفرنسي فيسيير. لم يكن غزو باشا مصر الدرعيةَ إذن استجابة لمطالب الباب العالي -الموثقة- فقط، بل اعتبرها تكملة لعملية التجديد التي سعى الإمبراطور إلى تحقيقها في الشرق والتي لم يتخل عنها رغم فشل مغامرته في مصر. ثم دعمت فرنسا بعد عودة النظام الملكي (١٨١٥م) ثم مع حركة السان سيمونيين (في الثلاثينيات من نفس القرن) محمد علي في صراعه ضد الإمبراطورية العثمانية لكنها لم تحقق نجاحًا يذكر بسبب انسحابها الإستراتيجي في العقدين اللذين عقبا سقوط نابليون. وقد حاز محمد علي إعجاب الفرنسيين إلى درجة صدور الروايات الأولى عن غزوِهِ الجزيرة العربية في ذلك الوقت. ولعل أهم ما كتب في هذا السياق هو كتاب فيليكس مانجان (Félix Mengin)[٢٥] الذي يحمل عنوان «تاريخ مصر تحت حكم محمد علي، أو رواية الأحداث السياسية والعسكرية التي وقعت منذ رحيل الفرنسيين حتى عام ١٨٢٣». ولم يقتصر هذا الكتاب على تبيان أهمية احتلال ابنه إبراهيم باشا وسط الجزيرة العربية بل رسم له أيضا صورة اجتماعية - سياسية في غاية الأهمية. وقد تابع الفرنسيون أخبار شبه الجزيرة العربية والوهابية على مدار القرن التاسع عشر باهتمام مستمر على نحو يتناقض وجهلهم بها منذ ١٩٤٠م ولا أدل على ذلك من التضمين المنهجي للوهابية في الموسوعات والروزنامات والكتيبات، من ذلك أنها وردت في كتاب «الجغرافيا المبسّطة لطلاب المدارس الابتدائية[٢٦] في عام ١٨٣٤م. وحتى لو لم يدخل الرحّالة الفرنسيون إلى وسط الجزيرة العربية في القرن التاسع عشر فقد حرص المستشرقون على التحدث عنها في كتبهم بدءًا من جان بابتيست إيريس (Jean-Baptiste Eyriès) الذي نشر في عام ١٨٣٥م ترجمة «تاريخ الوهابيين» الذي ألفه جان-لويس بوركهارت ووصولا إلى أدولف نويل دي فيرجيه (Adolphe-Noël des Vergers) مؤلف أول دراسة فرنسية عن شبه الجزيرة العربية[٢٧] عام ١٨٤٧م.

تعلن «الأحداث» التي لم يشارك فيها نابليون في تاريخ شبه الجزيرة العربية عن بداية سلسلة من التطورات: انتقال الحداثة الأوروبية على أيدي المصريين إلى الحجاز

(25) Félix Mengin, *Histoire de l'Égypte sous le Gouvernement de Mohammed-Aly, ou Récit des événements Politiques et Militaires qui ont eu lieu Depuis le Départ des Français Jusqu'en 1823*, 3 vol. (Paris: Arthus Bertrand, 1823).

(26) Félix Ansart, *Petite Géographie à l'usage des écoles primaires*, Paris, L. Hachette, 1834, 216.

(27) Adolphe Noël des Vergers, *Arabie*, (Paris: Firmin Didot Frères, 1847), 524.

بداية من عام ١٨١١م، وهو تجديد محتشم بلا شك؛ لأنهم غادروا الحجاز بحلول عام ١٨٤٠ إلا أنه يكتسي أهمية تاريخية، وفصل سكان الجزيرة العربية بين المشاعر الوطنية والولاء الديني للخليفة في إسطنبول، وهو الأساس الذي ارتكزت عليه الهجمات الوهابية على العثمانيين، ودخول مناطقهم الخاضعة للحكم العثماني في لعبة النظام السياسي الأوروبي، حيث شهدت تلك المرحلة افتتاح القنصليتين البريطانية والفرنسية في جدة عامَيْ ١٨٣٦ و١٨٣٩م على التوالي، وبدايات التوغل الأوروبي في المنطقة والاستعمار البريطاني لعدن في عام ١٨٣٩. ورغم أن نابليون لم يكن البطل الخارق القادر على إيجاد جميع الحلول فيبدو أنه قد عجَّل بحدوث تطور عام محتوم في شبه الجزيرة العربية.

إن معرفة الأفكار والمفاهيم التي كان نابليون يحملها عن الشرق أمر أساسي لمعرفة نشأة العلاقات بين فرنسا وشبه الجزيرة العربية، وكذلك لفهم النهجيْنِ الفكري والسياسي اللذين اتخذتهما فرنسا في وقت لاحق إزاء الجزيرة العربية واللذين رسخا رسوخًا غير واعٍ في التراث النابليوني والاستشراق الفرنسي عامة. فبدءا من افتتاح قنصلية فرنسية في جدة بعد حملة مصر بأربعين عامًا ووصولا إلى إرسال بعثة عسكرية فرنسية لدعم شريف مكة الحسين بن علي ضد العثمانيين، تبنّت فرنسا ومثقفوها موقفا يكرس من جديد سياسة الانفتاح المبنية على المصالح التي انتهجها بونابرت سنة ١٧٩٨م ويرسي استمرارية طبعت العلاقات على مدى يتجاوز تقلبات الأوضاع الراهنة.

ورغم أن نابليون لم يطأ أرض الحجاز فإنه أدخل هذه المنطقة بصفة غير مباشرة في «لعبة أوروبية كبرى» محورها الإمبراطورية العثمانية، ونتج عنها توسيع التوازن الأوروبي من البحر الأبيض المتوسط إلى حدود الهند البريطانية. وبذلك يكون قد رسم ما سيُعرَف بعد قرنٍ من الزمان بالشرق الأوسط الذي لا تزال الأزمات الداخلية والتدخل الأجنبي يخترقانه حتى يومنا هذا. تسجل الحملة المصرية إذن قيام دولة في الجزيرة العربية لم تكن قد اتخذت بعد هويتها السعودية في الوعي السياسي الفرنسي. لقد شكلت مغامرة بونابرت المصرية أساس العلاقات الفرنسية العربية المعاصرة والبعد العربي في مصير فرنسا المعاصرة والاستشراق الفرنسي وعقبتها هزيمة في سوريا أمام عكا، أي أن هذه المغامرة تجاوزت حدود مصر. وقد كان الإمبراطور المستقبلي قد تبنى في البداية

إدماج كامل المنطقة بما فيها البحر الأحمر. وفي نهاية المطاف لم يكن لفرنسا أية علاقات مع الدولة السعودية الأولى، التي لم يكن لدى حكامها على الأرجح فكرة واضحة عن الخطط الفرنسية المتعلقة بالمنطقة، ولكنَّ نابليون ظل على اطلاع دائم بتطورها الذي أثّر في سياسته وسياسة خلفائه فيما يخص الشرق في فرنسا وكذلك في مصر. إن التباين بين وفرة الوثائق المباشرة التي تهم هذه العلاقات المضمحلة وجهْل معظم المؤرخين بها أمر مؤسف ولكنه يبدو لسوء الحظ أشبه بقاعدة عندما يتعلق الأمر بالمصادر الفرنسية المتعلقة بتاريخ الجزيرة العربية.

ملحق ١: خريطة الدرعية

الشكل ٢: خريطة الدرعية. المصدر:
Joseph Rousseau, "Map of Dr'eiyé and its Surroundings", Paris, Archives of the Ministry of Europe and Foreign Affairs - La Courneuve, Mémoires et documents, Turquie 28 (1808-1819), folio 91.

١ **جبل خور** ينفصل عن جبل طويق ويمتد من الغرب إلى الشرق حتى أربعة فراسخ نزولا من الدرعية.

٢ منحدر الجبل الذي يعرف **بالظاهري** وبه توجد عدة قرى يقطنها مشايخ أو رجال قانون.

٣ بساتين وأراضٍ زراعية.

٤ **الجبيلة**

٥ **حديقة الشيخ سعود.**

٦ **الهينية**

٧ وادي **حنيفة** وهو وادٍ يمتلئ شتاء بالسيول النازلة من جبل طويق. يمتد حتى منطقة الخرج على مساحة ٨٤ فرسخا

٨ **جبل طويق**

٩ **الطريف**، الحي الذي يقطن به سعود وأهله

١٠ **الدرعية**

١١ **البجيري**، الحي الذي يقيم فيه القاضي.

١٢ **بساتين وأراض زراعية**

١٣ **الشكة**، فتحة الجبل الذي يقال إن عليّ بن أبي طالب قد سلكه، ومنه تمرّ عادة القوافل المتجهة إلى الدرعية في الأجزاء الغربية من نجد.

١٤ منحدر الجبل الذي يسمى **الظاهري** تغطيه القرى والحدائق.

١٥ **خريطة الدرعية وضواحيها**، رسمت انطلاقا من معلومات قدمها مفتي الأمير سعود أمير الوهابيين

١٦ على سلم ثلاثة فراسخ (الفرسخ الواحد = ٤ كيلومترات)، خط سير القافلة.

١٧ جبل خور ينفصل عن جبل طويق ويمتد من الغرب إلى الشرق حتى أربعة فراسخ نزولا من الدرعية.

١٨ أرسلها قنصل جلالته العام إلى سعادة سيدي وزير العلاقات الخارجية (إمضاء: روسو)

ملحق ٢: رسالة من بونابرت إلى شريف مكة

«بالمقر العام في القاهرة في ٢٠ من شهر فروكتيدور[٢٨] لعام ٦ الموافق للسادس من سبتمبر ١٧٩٨م

من بونابرت القائد العام للجيش إلى شريف مكة

أعلمكم على الفور بوصولي إلى القاهرة على رأس الجيش الفرنسي، وبالتدابير التي اتخذتها للحفاظ على العوائد المرصودة للحرمين الشريفين في مكة والمدينة. وستبين الرسائل التي سيكتبها لكم الديوان ومختلف تجار هذا البلد (أي مصر) العناية التي أوليها لحماية الأئمة والأشراف وجميع الفقهاء. وسيعلمونكم في الرسائل أيضا أنني عيّنت مصطفى بك، كاهية[٢٩] سيد أبو بكر باشا حاكم مصر، أميرًا للحج، وأنه سيرافق القافلة مصحوبا بالقوات التي ستؤمن حمايتها من اعتداء الأعراب.

أتمنى بشدة أن تعلموني في ردكم ما إذا كنتم ترغبون في أن يرافق جنودي القافلةَ أم أن فيلق خيالة من مصر كاف. ولكن في جميع الأحوال أبلغوا جميع التجار والمؤمنين، أنه ليس هناك صديق أفضل منا للمسلمين وكذلك أعلموا الأشراف وكل الرجال الذين يبذلون وقتهم وجهدهم لتعليم شعوبهم بأننا وحدنا حماتهم المخلصون.

وأنه لا خوف على التجارة بل سنوفر لها حماية خاصة. أنتظر جوابكم مع عودة هذه الرسالة.
أبلغونا أيضا بحاجتكم من القمح أو الأرز وسأسهر على إرسال جميع ما تطلبون.

إمضاء بونابرت
نسخة مطابقة
سكرتير بونابرت العام
فوفليه بوريان (Fauvelet Bourrienne) – (ختم وزارة الحرب، مستودع وزارة الحرب العام).
نسخة للإدارة التنفيذية.»

---

(٢٨) الشهر الثاني عشر في التقويم الجمهوري الفرنسي.
(٢٩) رتبة عسكرية.

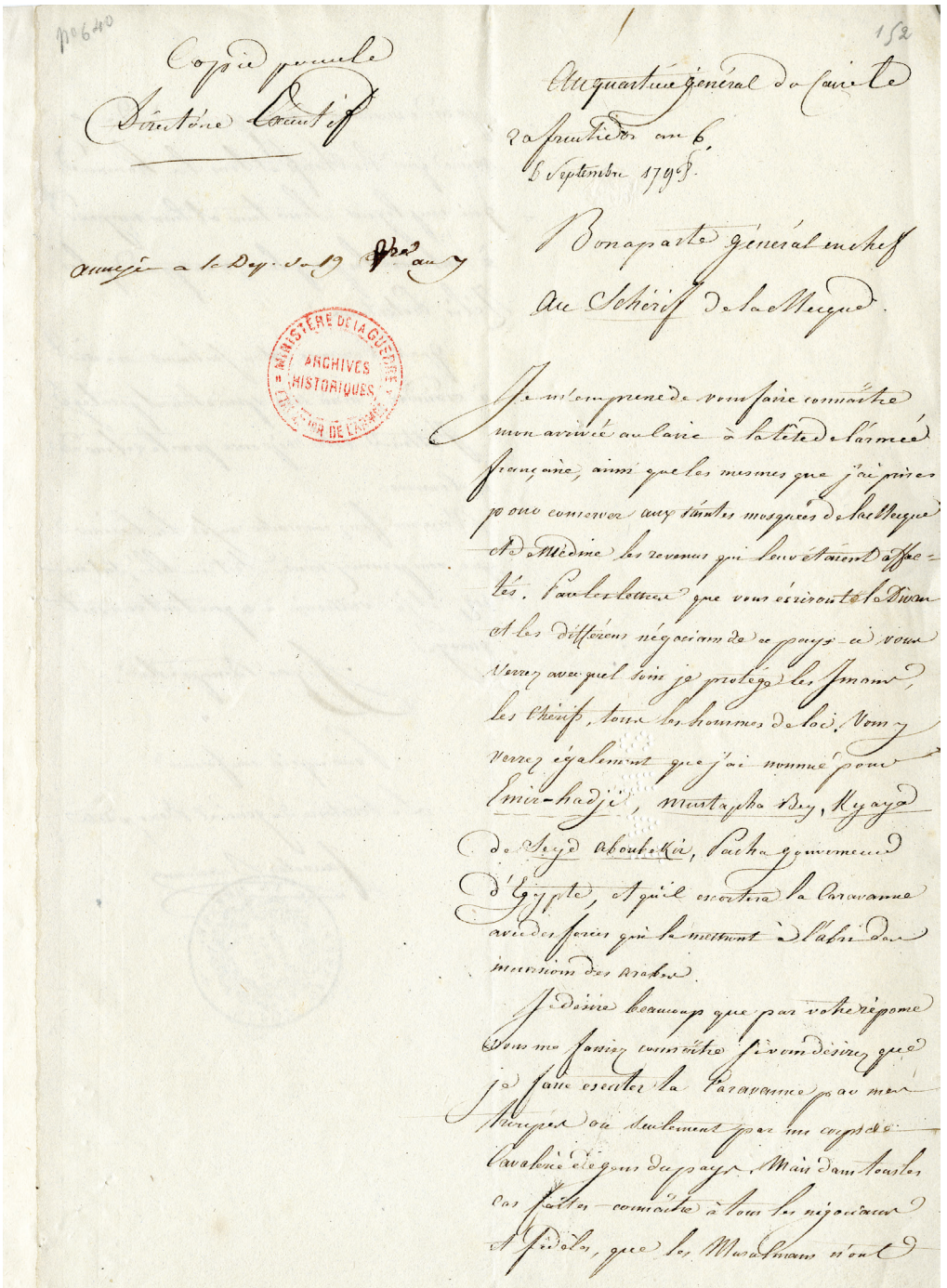

Copie prise
Directoire exécutif

Au quartier général de Suez
2 a Frimaire an 6.
22 Septembre 1797.

Bonaparte général en chef
Au Schérif de la Mecque.

Je m'empresse de vous faire connaître mon arrivée au Caire à la tête de l'armée française, ainsi que les mesures que j'ai prises pour conserver aux saintes mosquées de la Mecque et de Médine les revenus qui leur étaient affectés. Par les lettres que vous écrivaient le Divan et les différens négocians de ce pays-ci vous verrez avec quel soin je protége les Imams, les Cherifs, tous les hommes de loi. Vous verrez également que j'ai nommé pour Emir-hadji, Mustapha Bey, Kyaya de Seyd Aboubekr, Pacha gouverneur d'Egypte, afin qu'il escorte la Caravanne avec des forces qui la mettent à l'abri des incursions des Arabes.

Je désire beaucoup que par votre réponse vous me fassiez connaître si vous désirez que je fasse escorter la Caravanne par mes troupes ou seulement par un corps de cavalerie d'élite du pays. Mais dans tous les cas faites connaître à tous les négocians fidèles, que les Musulmans n'ont

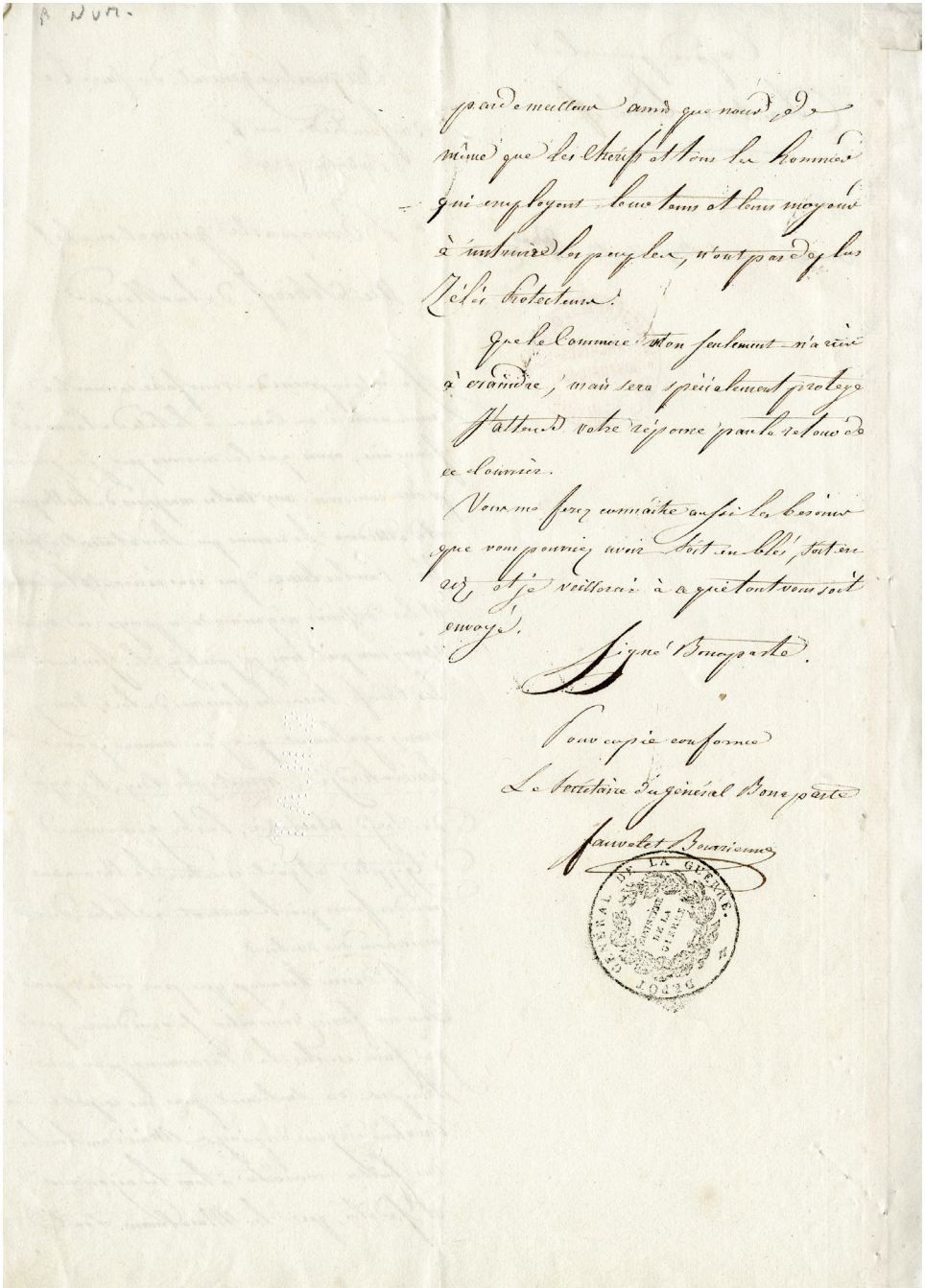

الشكل ٣: نسخة مطابقة للأصل من رسالة بونابرت إلى شريف مكة الأكبر بتاريخ ٦ سبتمبر ١٧٩٨ م. المصدر: وزارة الجيوش، قسم التاريخ.

نبذة عن المؤلف

لويس بلين الدكتور لويس بلين حائز على دكتوراه في التاريخ المعاصر من جامعة باريس – السوربون. يعمل دبلومسياً في وزارة الخارجية الفرنسية. وقد كان له تعيينات ومهمّات في عدة دول عربية: الجزائر، سوريا، مصر، المملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة. منذ أكتوبر ٢٠١٥ يُشرف على الدول العربية والإسلامية في دائرة التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الفرنسية. لديه العديد من الكتب عن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، منها: استكشاف الفرنسيين للجزيرة العربية، العالم العربي في ألبومات تان تان؛ الإسكندرية والمتوسط، بين التاريخ والذاكرة؛ اقتصاد السلام في الشرق الأوسط؛ نفط الخليج، السلم والحرب في الشرق الأوسط؛ والنخب السياسية الجزائرية المعاصرة.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

تأسّس المركز سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م لمواصلة الرسالة النبيلة للملك فيصل بن عبدالعزيز -رحمه الله- في نشر العلم والمعرفة بين المملكة وبقية دول العالم. ويعدُّ المركز منصةَ بحثٍ تجمع بين الباحثين والمؤسسات لحفظ العمل العلمي ونشره وإنتاجه، وإثراء الحياة الثقافية والفكرية في المملكة العربية السعودية، وبناء جسرٍ للتواصل شرقاً وغرباً. ويرأس مجلس إدارة المركز صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبدالعزيز، وأمينه العام هو الدكتور سعود بن صالح السرحان.

ويقدم المركز تحليلات متعمقة حول قضايا الدراسات الاجتماعية الاقتصادية، والدراسات الثقافية، والدراسات الأفريقية والآسيوية. ويتعاون المركز مع مؤسسات البحث العلمي المرموقة في مختلف دول العالم، ويضمّ نخبةً من الباحثين المتميّزين، وله علاقة واسعة مع عددٍ من الباحثين المتخصّصين في مختلف المجالات البحثية. ويحتضن المركز مكتبة الملك فيصل، ومجموعة مخطوطات نادرة، ومتحفاً إسلامياً، وقاعة الملك فيصل التذكارية، وبرنامج الباحثين الزائرين. ويهدف المركز إلى توسيع نطاق المؤلَّفات والبحوث الحالية لتقديمها إلى صدارة المناقشات والاهتمامات العلمية، متّبعاً مساهمة المجتمعات الإسلامية في العلوم الإنسانية والاجتماعية والفنون والآداب قديماً وحديثاً.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies
ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ (١١ ٩٦٦+) تحويلة: ٨٦٩٢ فاكس: ٤٥٧٧٦١١ (١١ ٩٦٦+)
بريد إلكتروني: research@kfcris.com